كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ
رئيس جامِعة القِدّيس يوسُف في بيروت

USJ 1875
جامعة القدّيس يوسف في بيروت

من أجل أن يعيش لبنان الغد:
صمود الجامعة

لمناسبة الاحتفال السَّنويّ بعيد الجامعة
يوم الجمعة الواقع فيه ١٩ آذار ٢٠٢١

في كنيسة
حرم العلوم والتكنولوجيا – مار روكز

www.usj.edu.lb/arabe

كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ
رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت

من أجل أن يعيش لبنان الغد:
صمود الجامعة

في مناسبة عيد شفيع جامعة القدّيس يوسف في بيروت
يوم الجمعة الواقع فيه ١٩ آذار (مارس) ٢٠٢١

في كنيسة
حرم العلوم والتكنولوجيا – مار روكز

سعادة السفير البابوي المونسنيور جوزيف سبيتيري Joseph Spiteri، حضرة الأب مخايل زمّيط، الرئيس الإقليميّ للرهبنة اليسوعيّة في الشرق الأدنى والمغرب،
حضرات السادة والسيّدات نوّاب رئيس الجامعة، والعمداء والمديرين،
حضرة الدكتور كريستيان مكاري، رئيس اتّحاد رابطات قدامى طلاّب جامعة القدّيس يوسف،
حضرات السادة والسيّدات المعلّمين، والإداريّين والطلاب،
أصدقائي الأعزّاء،

المقدّمة

عامًا بعد عام، لا يزال الاحتفال بعيد شفيع جامعتنا رازحًا تحت وطأة الوباء الذي اجتاح بأذيّة مختلف قطاعات الحياة اليوميّة، مسبّبًا للبشريّة «هزيمة تؤثّر في العالم بأسره، مصحوبة بالكثير من المعاناة والأضرار الاقتصاديّة»[١] على حدّ تعبير بيل غيتس Bill Gates الذي كان قد تنبأ بالكارثة التي حلّت بحضارتنا.

الشفاء بواسطة التضامن

أزماتنا الأخلاقيّة والسياسيّة والاقتصاديّة المتعدّدة، إلى جانب جريمة الانفجار في مرفأ بيروت، عرّضت ولا تزال تعرّض للخطر حياة شعب بأكمله ومستقبله ومصير أمّة. لم تتردّد جامعة القدّيس يوسف في بيروت، من خلال أسرتها التعليميّة والطلابيّة، وكذلك من خلال مستشفى «أوتيل ديو دو فرانس» Hôtel-Dieu de France ، في أن تكون في الطليعة

[١] الجريدة البلجيكيّة le Soir نيسان (أبريل) ٢٠٢٠.
Journal belge *le Soir* du 20 avril 2020.

من أجل تقديم المساعدة لشعبنا المتضرّر من جرّاء الأزمات والجرائم التي يرزح تحت وطأتها؛ اليوم، كما في الأمس، سنكون في الصفوف الأماميّة من أجل التعبير عن تضامننا بالأفعال وليس بالكلمات فقط، «فيجب أن نجعل المحبّة تتجسّد في الأعمال أكثر منها في الكلمات»[٢]. في خلال هذه الأزمة، كنّا في الخطوط الأماميّة لمساعدة أولئك الذين يعانون، ويمكننا القول إنّنا، بفضل المئات من متطوّعي جامعة القدّيس يوسف، اكتنزنا المحبّة على الأرض، وفي السماء أيضًا، «حَيْثُ لا يُفْسِدُ سُوسٌ ولا صَدَأ، وَحَيْثُ لا يَنْقُبُ سَارِقُونَ ولا يَسْرِقُونَ» (متّى ٦، ٢٠). واجبنا أن نكون مع شعبنا، نحن الذين دمّرتنا الجريمة، ويجب أن نطالب بالحقيقة لأنّ الحقيقة هي حقّ من حقوق الإنسان التي لا تتزعزع[٣]. واجبُنا أن نفكّر اليوم في عائلاتنا الثكلى، وكذلك في جرحى شعبنا وانهياره بسبب الجائحةِ، وعواقبِ الانفجار في مرفأ بيروت الذي يثقل ضميرنا حتّى يستيقظ ويصحو، وحتّى لا يغمر النسيانُ شهداءَنا.

في هذه الفكرة التي أقدّمها لكم، أكتفي بالنقاط الثلاث التالية : ١) أوّلاً تكريس قداسة البابا فرنسيس سنة ٢٠٢١ سنة مخصّصة للقدّيس يوسف، ٢) ثانيًا، إذا علّمنا القديس يوسف الصمود، يمكن للجامعة أن تكون جامعة تفكّر بمستقبل بلدنا لبنان الاجتماعيّ والسياسيّ و ٣) ثالثًا كيف تعتزم الجامعة دعم صمودها وصمود لبنان.

القسم الأوّل

١. مثال القدّيس يوسف الذي لا يتزعزع: سَنة مقدّسة

في هذا السياق، رحّبنا بقرار البابا فرنسيس تكريسَ «سنة مخصّصة للقدّيس يوسف» التي بدأت في ٨ كانون الأوّل (ديسمبر) ٢٠٢٠ وتستمرّ حتّى ٨ كانون الأوّل (ديسمبر) ٢٠٢١. مع الرسالة البابويّة *Patris Corde* (بقلبٍ أَبَوِيّ)[٤]، يذكّرنا فرنسيس بالذكرى الـ١٥٠ لإعلان القدّيس يوسف شفيع الكنيسة جمعاء منذ العام ١٨٧٠. بعد خمس سنوات، قرّر

---

[٢] مار إغناطيوس دو لويولا، التمارين الروحيّة، تأمّل من أجل الحصول على المحبّة، ٢٣٠.
Saint Ignace de Loyola, Exercices spirituels, contemplation pour obtenir l'amour, 230.

[٣] ألكسندر نجّار، في جريدة «لوريان لوجور»، في ١ تشرين الأوّل (أكتوبر) ٢٠٢٠.
Alexandre NAJJAR, dans l'*Orient-le-Jour*, le 01 octobre 2020.

[٤] رسالة صدرت في الڤاتيكان في ٨ كانون الأوّل (ديسمبر) ٢٠٢٠.
Lettre parue au Vatican le 8 décembre 2020.

اليسوعيّون في بيروت أن يعهدوا بجامعتهم الناشئة إلى شفاعة القدّيس يوسف، شفيعِ الساهرين على تنشئة الشباب المسؤولين عن بناء وطن الغد.

كتَب البابا: إنّ جائحة وباء كوفيد ١٩ تجعلنا نفهم أهميّة الأشخاص العاديّين، أولئك الذين يتمتّعون بالصبر، ويبثّون الرجاء، ويسهرون على خلق مسؤوليّة مشتركة حقيقيّة من حولهم، بعيدًا عن الأضواء، على مثال القدّيس يوسف، «الرجلِ ذي الحضور الذي لا يلاحظه أحد، رجلِ الحضور اليوميّ، المتحفّظ والخفيّ»، ومع ذلك، «يلعب دورًا لا مثيل له في تاريخ الخلاص».

في الوقت نفسه، يُعتبَر يوسف «أبًا يمثّل رحابة الترحيب»، لأنّه رحّب بمَريَمَ «بدون شروط مسبقة»، وهي لا تزال حتّى اليوم لفتة مهمّة «في هذا العالم حيث يسود العنف النفسيّ، واللفظيّ والجسديّ تجاه المرأة». إنّ حياة يوسف الروحيّة «ليست طريقًا يتمّ في مسارها شرحٌ وتفسير، بل هي طريقٌ معبّدةٌ بالترحيب»، ومع ذلك، هذا لا يجعل منه «رجلًا مستسلمًا بالمعنى السلبيّ للكلمة». لنتذكّرْ كيف واجَه اضطهاد الملك هيرودس وأدان صورة رجال يمثّلون هيرودس اليوم، من طريق إبعاد يسوع الطفل، الكلمة من عُنفِه، بالاستقرار في مصر حتّى وفاة المستبِدّ.

ما يقوله الله لقِدّيسنا، يبدو أنّه يردّده لنا أيضًا: «لا تخافوا!»، لأنّ «الإيمان يعطي معنى لأيّ حدثٍ، سواء أكان سعيدًا أم حزينًا»، ويجعلنا ندرك أنّ «الله يستطيع أن يجعل الزهور تنبت في الصخور». يوسف لا يبحث عن طرق مختصرة «ولكنّه يواجه، «بعيون مفتوحة»، ما يحدث له بتحمُّله مسؤوليّة ما يحدث له شخصيًّا». وهكذا، فإنّ ترحيبَه «يدعونا إلى الترحيب بالآخرين بدون إقصاء، كما هم، مع أفضليّةٍ نوليها إلى الضعفاء».

كتَب الأب الأقدس أيضًا: «بهذا المعنى، أعتقِد أن القدّيس يوسف هو حقًّا شفيع مميَّز لكلّ أولئك الذين يجب أن يغادروا أرضهم بسبب الحروب، والكراهية، والاضطهاد، والبؤس». «كلّ محتاج، وكلّ فقير، وكلّ من يعاني الألم، وكلّ محتضر، وكلّ غريب، وكلّ سجين، وكلّ مريض هو» الطفل «الذي يستمرّ يوسف في الدفاع عنه»، ومنه، نتعّلم أن «نحبّ كنيسة الفقراء».

النجّار الأمين يوسفُ الذي عمل «ليَضمَن لُقمة العيش لعائلته»، يعلّمنا أيضًا قيمة «أكل الخبز، والكرامة والفرح اللذَين نشعر بهما من جرّاء أكل الخبز كثمَرة للعمل الذي قُمنا به». الشخص الذي يعمل، «يتعاون مع الله نفسِه ويصبح مبدعًا بعضَ الشيء في العالم

الذي يحيط بنا». من هنا، أشار الإرشاد الرسوليّ «بإعادة اكتشاف قيمة العمل وأهميتّه وضرورته من أجل إعطاء الحياة «طبيعة» «جديدة لا يُستثنى منها أحد.» وبذلك، يدين القديس يوسف كلّ السياسيين الذين يتصرّفون بوعي أو بغير وعي لتدمير وسائل العمل ودفع الناس إلى البطالة. في ظلِّ تفاقُم جائحة كوفيد-١٩، يدعو البابا فرنسيس إلى «مراجعة أولويّاتنا» حتّى نتمكّن من الالتزام بالقول: «يجب أن لا يبقى شابّ، ولا شخص، ولا أُسرة بلا عمل!».

من خلال تلقّي هذه الدعوة لأجْل تكريس هذا العام للقدّيس يوسف، نجدّد، نحن أنفسنا، دعوَتنا ورسالتنا إلى الجامعة، جامعة القدّيس يوسف، لنصبح معلّمين حقيقيّين من طريق القُدوة، والكلمة، والفِطنة، والثقة، والسلام، والتمييز وإرادة بناء كياننا الداخليّ وإعادة بنائه، وكذلك إعادة بناء بلدنا الذي تتنازعه اليوم قوى الشرّ من جميع الجهات.

٢. انعدام الأخلاق في صميم الأزمة

عندما اخترنا، في الجامعة، **شجرة البانيان، وهي مشتقّة من شجرة الكينا، كرمز لشعار جامعة القدّيس يوسف،** كان هدفنا هو إيصال الرسالة الآتية: هذه الشجرة المغروسة في الحديقة النباتيّة في الحرم الجامعيّ للعلوم الطبيّة في قلب بيروت، تتوغّل جذورها العميقة في الأرض لتنمو وتكبر ... إلى ما لا نهاية، هي على صورة جامعة القدّيس يوسف في بيروت، والمتجذّرة في الأرض اللبنانيّة لتزهر، منذ العام ١٨٧٥، قيمًا فكريّة من العلم والمهارات، وقيمًا إنسانيّة وروحيّة قوامها الثقة، واحترام الآخر المختلف، والمواطَنة والشعور بالانتماء إلى هذا البلد الذي أصبح دولة منذ العام ١٩٢٠.

اليوم، ليست أزمة الوباء والكارثة السياسيّة والأخلاقيّة والماليّة المعقّدة **هي التي تُعَقِّد مدَّ جذورنا بالزخم الحيويّ.** يقول كلّ منظّري الكوارث: إنّ انعدام الأخلاق، الواعي أو اللاواعي، الفرديّ والجماعيّ، هو الذي يُعتَبَر في أساس الأزمات التي تهزّ المجتمعات والأوطان. في بلدنا، هناك ارتهان الدولة للمصالح الخاصّة والحزبيّة المتنوّعة، باسْم الطائفة التي تسيطر ولكن ليس من أجل إسعاد المجتمع، وهناك عهد الإفلات من العقاب. قالت ثورة ١٧ تشرين الأوّل (أكتوبر) بصوت عالٍ: إنّ مجتمعنا يحتاج إلى الأخلاق، ولا توجد أخلاق بدون عقاب. هذا الوضع يُغرقنا في الكارثة التي تتطوّر وتتساقط وتتدحرج حتى تمسّ طاقتنا الثقافية الممثَّلة، في لبنان، من طريق المؤسّسات الثقافيّة المتمثِّلة في التعليم الابتدائيّ والثانويّ، ثمّ بعد ذلك من طريق التعليم العالي اللبنانيّ. من مظاهر هذه الكارثة التي تهدّد الجامعة، ليس فقط جامعتنا، في وجودها، رحيلُ الشباب الجماعيّ نحو بلاد

أخرى، بسبب انعدام الثقة في بلدهم، وبعضهم لم تعد تتوفّر لهم وسائل تمويل دراستهم لا في لبنان ولا في الخارج. كنتُ قد قلتُ، في مقابلة إعلاميّة، إنّني أخشى أن تؤدّي سلسلة الأحداث إلى ظهور «جيل ضائع»، وهذا يؤدّي إلى «جامعة تفتقر إلى قواها الحيويّة». دعُونا نستمع في هذا السياق إلى شهادة إحدى طالباتنا، ناتالي (٢٠ عامًا)، في السنة الثالثة بقِسم التّغذية، تتحدّث عن تاريخ أصبح من الآن فصاعدًا محفورًا إلى الأبد في ضميرها وضمير كلّ لبنانيّ، في ٤ آب (أغسطس) ٢٠٢٠، يوم ارتكاب جريمة المرفأ. تخبرنا أنّ «الحياة الطبيعيّة توقّفت في ٤ آب (أغسطس). منذ ذلك الحين، عشنا كلّ يوم في يومه؛ لا نعرف كيفيّة تغطية نفقاتنا، ورسوم الجامعة، وإصلاح الشقّة المقابلة للمرفأ. تعاني أختي من صدمة خطيرة في الجمجمة، ومن المرجّح أنّها لن تتعافى. المساعدات التي منحتها الدولة تمّ توزيعُها بشكلٍ غير متساوٍ، وتمّ إعطاءُ تعويضات للعائلات التي لم تتضرّر حقًّا بما يتجاوز كلّ نزاهة. لكن نحن، صِفر». وحْدَه التضامن الاجتماعيّ الذي تنظّمه هيئات غير حكوميّة وأشخاصٌ نزيهون وذوو نيّاتٍ حسنة، أُسوةً بمجموعات من طلاب ومعلّمي جامعة القدّيس يوسف، وحْده هذا التضامنُ استطاع ويستطيع إنقاذ العديد من اللبنانيّين من هذه الجريمة المستمرّة.

لذلك، فإنّ واجبنا هو مناشدة طلاّبنا القدامى، وأصدقائنا وكلِّ مؤمن بلبنان هذا، من أجل دعم «موارد الجامعة الآخذة في التناقص، ودعْوتُنا للتضامن هو رهان على المستقبل، لأنّ خطر فقدانِ جيل الشباب يهدّدنا. يقع مقرّ رئاسة جامعتنا مقابل السفارة الفرنسيّة. وفي الصباح، ثلاث مرّات في الأسبوع، نشهد بجزعٍ وقوف طابور طويل من الشبّان اللبنانيّين من جميع الطوائف، ساعين للحصول على تأشيرات دراسيّة، ويمتدّ هذا الطابور حتّى المُتحف الوطنيّ. هؤلاء الشباب يتركون البلاد. رأس المال البشريّ للبلد بأكمله هو الذي يغادر. يبدو أنّ جيلًا كاملًا يتنازل. إذا رحل الشباب، فإنّ المستقبل هو الذي يرحل، والجامعة هي التي يتعطّل مستقبلها. أتوَجّه إلى جميع القادة السياسيّين في بلدنا: لدى كلّ شابّ لبنانيّ مشروعُ موهبةٍ لا ينبغي أن يضيع. في الوقت الذي يتحدّث فيه العالم عن تنشئة مهارات الغد، فإنّ المواهب المتنوّعة في الهندسة، المهندسين، والأطبّاء، والمحامين، والأدباء، يحرّضهم سياسيّو بلدنا على الفرار من بلادهم! حان الوقت لكَي يستيقظ ضميركم! تحمّلوا مسؤوليّاتكم كي تنقذوا بلادنا، وإلا فستُعانون، كما يكرّر البطريرك الراعي، حكْمَ محكمة التاريخ!

حين نتكلّم عن الجامعة، فإنّنا نتكلّم عن مستشفى «أوتيل ديو دو فرانس» Hôtel-Dieu de France، مركز جامعتنا الاستشفائيّ، وعن التزامه الراسخ بالرعاية في مكافحة وباء كورونا Covid 19 الذي يستمرّ في التسبّب بأضرار جمّة. الإجراء السريع الذي اتّخذه المستشفى في مساعدة مئات الضحايا والمصابين في مسرح جريمة ٤ آب (أغسطس) هو وسام شرفٍ نعلّقه على صدر فِرَق الأطبّاء، والأطبّاء المقيمين (يمارسون تحت إشراف أطبّاء)، والمتدرّبين، والممرّضات، والممرّضين ومقدّمي الرعاية الذين بذلوا ما في وسعهم ومن أعماق قلوبهم ومهاراتهم المهنيّة من أجل الإصلاح والشفاء. ما الذي قدّمناه في المقابل للطاقم الاستشفائيّ، إن لم يكن عدم الاستقرار الماليّ واللوجستيّ الذي يعرّض للخطر استمراريّةَ مهمّة الرعاية الضروريّة جدًّا التي يقدّمها طاقمُنا المعرّض للخطر وغيرُ المحميّ؟ ألم يكن ما قدّمناه هو تدمير الصورة الرائعة التي يتمتّع بها المستشفى، كمستشفى الشرق الأوسط، من خلال مهاراته وخدماته الأفضل أداءً؟

ردُّنا هو الاستمرار في مواجهة التحدّي المتمثّل في تعزيز التضامن مع مستشفى «أوتيل ديو دو فرانس» HDF، وكذلك مع الجامعة من خلال برامج متعدّدة مثل «العطاء من أجل الرعاية»، أو «العطاء من أجل التثقيف»، أو «العطاء من أجل إعادة البناء». أعربَ العديد من الأشخاص عن دعمهم بشكل ملموس: هذا الأمر يشجّعنا على التعبير عن شُكْرنا للعديد من المتبرّعين الذين سمحوا للجامعة بالتعبير عن تضامنها مع الآلاف من طلّاب الأمّ المربّية، ومع المستشفى ليأخذ على عاتقه، من خلال «الصندوق الاجتماعيّ» الذي أصبح البنية الرسميّة لدعم مستشفى «أوتيل ديو دو فرانس» HDF، المرضى الذين يستفيدون من تميّزِ المعلّمين والأطبّاء ومقدّمي الرعاية في جامعتنا وكفاءتِهم.

إنّ خريجينا وأصدقاءنا، اللبنانيين وغير اللبنانيين، الذين يستطيعون فعل الكثير وأولئك الذين لا يستطيعون فعل الكثير، أنا متأكّد من أنّهم لا يقبلون هم أنفسهم أن يتلاشى بلدنا وأن تختفي جامعة القدّيس يوسف والتعليم العالي الذين يستحقان اسمهما.

القسم الثاني

شروط وجود لبنان في مئويّته الثانية

كيف لا أعود إلى الذكرى المئويّة لتأسيس لبنان الكبير، وأشعر برغبة في اقتباس قول قداسة البابا فرنسيس في إحدى عِظاته: «لا تفقدوا القدرة على الحلم بالمستقبل، الحلم بعائلتنا، وأطفالنا، وآبائنا. (...). الحلم يجعلنا نفتح الأبواب ونبقى مثمرين من أجل بناء

المستقبل». صحيح أنّ النظام السياسيّ اللبنانيّ يجب أن يتطوّر، إلاّ أنّ دَورنا كجامعة هو تشجيع تحوُّل العقليّات للوصول إلى إجماع بين اللبنانيّين حول تشكيل لبنان الآتي. الحوار السياسيّ الداخليّ، الحقيقيّ والمستمرّ، ليس خِيارًا من بين العديد من الخيارات؛ إنّه متطابق اليوم مع طبيعة وجود دول تعدُّديّة مثلِ دولة لبنان الكبير، في ضوء تنوُّع الجماعات وتطوُّرها التاريخيّ. العجز عن إقامة حوار، يعني أنّ جماعةً ما تسعى إلى فرض إرادتها على مُجمل الوطن، أو تسعى إلى عزل نفسها عن الآخرين، وهو الأمر الذي يهدّد الميثاق الوطنيّ ووجودَ لبنان كقيمة للبشريّة. سيَتعيّن على هذا الحوار معالجة القضايا الشائكة، مع الحفاظ على مصلحة اللبنانيّين وحدَها ورَفاهِهم ومستقبلهم.

لقد عشنا ونعيش في ظلّ نظام سياسيّ ديمقراطي وبرلمانيّ، في إطار صيغة قويّة من التعايش الإسلاميّ المسيحيّ، ولكنّه ليس دائمًا نموذجيًّا. كما عشنا في ظلّ ميثاق وطنيّ يضمن تطبيق النظام الديمقراطيّ وصيغة العيش معًا. لا يمكننا النظر إلى هذه المفاهيم الثلاثة على أنّها منفصلة، بل كَكُلٍّ، حيث يمكن لأحد المفاهيم أن يهدم المفهوم الآخَر أو ينقذه. التعايش الاجتماعيّ، والعيش معًا، أي الوطن، في فكر البطريرك حويّك، يؤسّس الميثاق الوطنيّ السياسيّ. وهذا الميثاق، من حيث التعايش، يُنشئ الدولة ونظامها السياسيّ والبرلمانيّ المعنيَّ بإقامة الحريّات والعدالة للجميع. كلّما تعطّلت الدولة بسبب قانون الأحزاب التي تتلاعب بالجماعات، فإنّ العيش معًا والميثاقين الاجتماعيّ والسياسيّ تتضرّر كلُّها معًا، ووجود لبنان هو الذي يجد نفسه مهدَّدًا.

ما هو في أساس هذه الثلاثيّة، هو إرادة المواطَنة التي يتمتّع بها كلّ فرد في المشاركة الكاملة في إدارة البلد؛ إنّها ليست الجغرافيا، ولا العدد، ولا الانتماء إلى بلد غير لبنان، ولا الدين. العدد هو قيمة دلاليّة، لكنّه ليس أبدًا قيمة وطنيّة. هذه الإرادة هي في أساس الوحدة الوطنيّة اللبنانيّة وليست الإرادات الفيدراليّة أو الانفصاليّة، بحيث إنّ أيَّ انتهاك لهذه الإرادة هو انتهاك لوجود لبنان بذاته. نحن نخدع أنفسَنا عندما نستمرّ في إدارة الشؤون العامّة على أساس طائفيّ معهود، إلى سياسيّين يجعلون منّا زبائن وليس مواطنين أحرارًا. يجب أن تتمّ هذه الإدارة من خلال سيادة دولة القانون القائمة على أساس نظام الحقوق والقانون. يتمّ تكريم الإنسان الحرّ الذي نوَدّ تنشئتَه في الجامعة، من طريق المواطنة القائمة على أساس هذا القانون العامّ، وليس على الهويّة الدينيّة، والثقافيّة، والإتنيّة أو العرقيّة.

كان المفكّر النمساوي روبير موزيل Robert Musil (١٨٨٠-١٩٤٢) يتحدّث عن «الإنسان الأوروبيّ المجرّد من القيم» والذي خرج من الحرب العالميّة الأولى في حيرة من أمره وضائعًا؛ يمكن أن يكون ضَياعُ القيم والمعايير هذا مصيريًّا بقدْر ما يتمّ التشكيك في معنى الحياة[٥]. اليوم، بعد أزماتنا وحروبنا السياسيّة وغير السياسيّة، وبعد الاغتيالات المتكرّرة التي أوْدت بأصواتنا الحرّة، نجد أنفسَنا مثلَ الإنسان الأوروبيّ، مجرّدين من القيم. لكنّ هذا الأوروبيّ استعاد القيم، بينما الإنسان اللبنانيّ الذي يدّعي أنّه يمتلكها، قد فقدَها مع مرور الزمن.

كان هناك وقت لم تتَلوّن فيه إدارة البلاد كثيرًا بالصبغة الطائفيّة، بحيث كنّا نُدرك أو لا نُدرك أنّ المواطَنة اللبنانيّة، القائمة على أساس الدستور وإرادة العيش معًا، هي التي كانت توحّدنا، ولكن في هذه الفترة، أَولَينا الثرواتِ الماديّةَ والرفاهية اهتمامًا أكبر، من دون القلق بشأن تطوّر حِسّنا السياسيّ والفكريّ بالمواطَنة الذي نعيشه بشكل عفويّ. تميّزت السنوات الأربعون الأخيرة من وجودنا، لأكثر من سبب داخليّ وخارجيّ، بعَودة الطائفيّة بطريقةٍ صارمة وحصريّة، مصحوبةً بانكفاءٍ قويّ على الذات، وهذا أدّى بجماعة أو أُخرى تحارب يومًا الاحتلالَ الفلسطينيَّ وفي اليوم التالي الاحتلالَ الإسرائيليَّ، إلى أن تبني نفسَها كدَولة داخلَ الدولة، أو حتّى لتحُلَّ محلَّ الدولة.

لبنانُ الرسالةُ في خطر جِدّي دفع البطريركَ بشارة الراعي للدعوة الى «عدم السكوت» من أجل تحرير «الدولة من كلّ من يشلّ مؤسّساتها». فكيف لا نؤيّد هذه الدعوة التي «تؤكّد استقرار لبنان وهويّته، وسيادة حدوده، وتمسُّكه بالحريّة، والمساواة والحِياد»، بدعم «الجيش اللبنانيّ الوحيد القادر على الدفاع عن لبنان»[٦].

مع الأخذ في الاعتبار بهذا المُعطى، فإنّ أيَّ إصلاح للدولة والنظام السياسيّ، يجب أن يوجِّه لبنانَ نحو المزيد من المواطَنة والانتماء إلى الشموليّة، أكثر من الانتماء إلى التفرّد الذي تحتفظ به أيديولوجيّة أجنبيّة، وإلاّ فإنّ بلادنا ستبقى غير قابلة للحُكم وسيَتمّ تسليمها إلى العدم. فلْيسعَ مَن يطالبون بتعديلات دستوريّة إلى تحسين أداء دولة المواطنين، وعدم

[5] روبير موزيل Robert Musil إشتهر بروايته الأولى *Les Désarrois de l’élève Törless* (1906) وروايته غير المكتملة *L’Homme sans qualités* (مجلّدان، 1930-1933).

[٦] Cité par la Croix, dans l’article de Jenny Lafond (au Liban), le 28/02/2021

توسيع سلطتهم في إدارة الدولة على حساب طرف آخر أو أيِّ حيّزٍ آخَر. نحن نرفض أيَّ بحثٍ عن المزيد من السلطة الممنوحة لهذا الطرف أو ذاك، ممّا يؤدّي إلى تدمير أُسسِ العيش معًا أو التوجّه نحو تقسيم البلاد ومرّة أُخرى وفي سياق الشرق الأدنى، سيَقود التقسيمُ أطرافًا مختلفة لإدخال قوّات أجنبيّة على الأراضي اللبنانيّة، للدفاع عن نفسِها: بعضِها ضدّ البعض الأخَر. ستكون نهايةَ لبنان العيشَ معًا، وبدايةَ فترة جديدة من الحروب بين الأشِقّاء.

سيَضعُف الوطن كبُوتَقة تنصهر فيها القيم الروحيّة والثقافيّة المشتركة، وسيَضعُف الوطن كمجموعة من المجتمعات جعلتِ الميثاقَ الاجتماعيّ والطوعيّ للعيش معًا يُطبَّق بشكلٍ جيّد، **إن لم تبنِ الدولةُ نفسَها مع أفضلِ المهارات، من دون تمييز بين الانتماء الدينيّ والانتماء الحزبيّ؛ بتعبيرٍ آخرَ، مع مواطنين يعترفون بأنفُسهم كَمواطنين لبنانيّين. حين يصبح المواطنون أقوياء وتصبح ثقافة المواطنة قويّة، تصبح الدولة قويّة ويصبح الصالح العامّ متوفّرًا للجميع.** نحن نواصل النضال من أجل أن يُعيد جيلٌ جديد من السياسيّين، بناءَ دولةِ لبنانَ الكبير.

«عدوّنا الحقيقيّ الذي يجب محاربته يكمن في داخلنا، كما كان يردّد رئيس الجامعة السابق المرحوم سليم عبو. إنّه العدوّ غيرُ المرئيّ الذي يضغط علينا لقبول الأمر الواقع. يجب أن نحرّر أنفُسنا من هذا العدوّ، لكَي نُواصلَ النضال من أجلِ لبنانَ حُرٍّ وذي سيادة؛ أي مواطنين لبنانيّين أحرار وذوي سيادة، ولا تقودهم أيُّ أيديولوجيّة أو قوّة أجنبيّة تفصلنا عن الآخرِ، شريكِنا في المواطَنة.

القسم الثالث

١. تحدّيات الجامعة الثلاثة

إذا كنّا نتحدّث عن تحدّيات الجامعة، فذلك لأنّ الجامعة، جامعتنا، ليست في لبنان فقط، ولكنّها قبل كلّ شيء جامعةٌ من أجل لبنان القرن الحادي والعشرين كما كانت دائمًا منذ تأسيسها. إنّها جامعة من أجل لبنان وليست في لبنان فقط. إنّها جامعة لا تُقاس برقم يحدِّد أعمالَها ولا بعَددِها، بل بالأهداف التي لطالما تخلّلت حياتها ووجّهت عملها، سواء قبل العام ١٩٧٥ أو بعد ذلك التاريخ. بتعبير آخر، هي ترغب في أن تكون في خدمة لبنان التعدديّ هذا، ولكنّه موحّد، ولبنان المنفتح ثقافيًّا على العالم، ولكنّه متجذّر في رسالته، وحرّيته وتعلّقه بالقيم الإنسانيّة، ولبنان المواهب والمهارات.

بالتالي، فإنّ جامعتنا إنسانيّة ومتضامنة دائمًا من أجل بناء الإنسان فينا، من أجل طلابها وكلّ أسرتها، وإلا فلن تكون جامعة يسوعيّة. نحن نتمسّك بهاتينِ الصفتَين، لا لنَستدرّ الشفقة أو لنعْرِض إعلانًا، بل لأنّنا في الأصل تأسّسنا بروح من التضامن مع شعبنا، وبروحٍ إنسانيّة من أجل تعليمٍ يسعى إلى تحقيق الإنسان فينا، والجمعِ بين القيم الروحيّة وحريّة الضمير. أوَدّ أن أقتبس من شخص يتعامل مع مشكِلات طلاّبنا كلّ يوم: «طلاّبُنا ثمينون كِرامٌ وهُم مستقبلنا. إنّهم يدرسون ليجعلوا مصيرهم في يدهم، ويعتمدون على شهادتهم كي يصبحوا بسرعة دعمًا ضروريًّا لوالدِيهم. إنّ دعمهم لَمسؤوليّة إنسانيّة، لكنّه قبل كلّ شيء مسؤوليّة وطنيّة. سيُعيدون لبنان الغد إلى الحياة »[٧]. في عدّة مناسبات، تلقَّينا شهاداتٍ من أَولياءِ أُمور الطلاّب، أو من خرّيجين أو أصدقاءَ كانوا يرَون في قرار الجامعةِ تجميدَ زيادة الرسوم الدراسيّة بادرةً إنسانيّة. إنّ القيام بأيّ عمل من أجل مستقبل بلد، وخصوصًا بلدًا ينهار، يتطلّب تضحية لإنقاذ أغلى ما يملكه لبنان، ألا وهو الشباب الذي كرّست الجامعةُ نفسَها من أجْله. هذا الوضع يتطلّب منّا مضاعفة جهودنا بُغْيةَ جمع التبرّعات من أصحاب النيّاتِ الحسنة (أدعوهم لأن يكونوا كثيرين، وبخاصّةٍ طلاّبنا القدامى) الذين يؤمنون بالتعليم باعتباره أثمن خير يُعطى للبنان والبشريّة، ومن أجل إدارة هذه التبرّعات بروح من الفِطنةِ والبصيرة والشفافية.

٢ . من أجل التميّز المهنيّ والأخلاقيّ

نريد الآنَ أكثر من أي وقت مضى، وفي صميم الأزمة وتحدّي هذه الأزمة، أن تستمرّ جامعتنا بكَونها مرجعيّة في التميُّز في ما يتعلّق بالتعليم الجامعيّ. في التصنيفات الدوليّة، نحن فخورون بأن يتمّ ذِكرُ جامعتنا كواحدة من أفضل الجامعات في المنطقة في توفير التنشئة التربويّة إلى الشباب الموكَلين إلينا.

إذا حصلتِ الجامعة بمُجملها وبعض مؤسّساتها على اعتماد ضمان الجودة، فإنّ ثقافة الجودة كمطلب وطنيّ ودوليّ، تظلّ هدفًا يجب تعزيزه على المستويَين الفرديّ والجماعيّ، وذلك بروح «الأفضل والمَزيد» بحسَب النهج الإغناطيّ. لقد أصبحت ممارسةُ التقييم التي يجب تطويرُها، جزءًا لا يتجزّأ من روح الجامعة. فسَتتمّ إضافةُ الاهتمام الرئيسِ بتنشئة الطالب الإنسانيّة، والمواطنيّة، والأخلاقيّة، والاجتماعيّة إلى النهج التقنيّ المعتمَد، وسيَكون هذا الاهتمام في صميم عمليّة التعليم والتعلّم.

---

[٧] راجع فادي نون في مقال نشره في جريدة «لوريان لو جور» في ٦ آذار (مارس) ٢٠٢١.
Cité par Fady Noun dans son article de *L'Orient-le-Jour*, du 06 mars 2021.

جامعتنا المتأهّبة دائمًا في خدمة التميز، تتعلّم دروس الأزمة الصحيّة والاقتصاديّة الناتجة عن الوباء: ينصبّ التركيز اليوم وغدًا على التدريب والابتكار والبحث في ما يتعلّق بالتنمية المستدامة، والتعليم الرقميّ، والابتكار في التقنيّات الجديدة للتدريس والعمل عن بعد، وهي تحتلّ مركز نشاطها. سيتوجّب على الجامعة العمل أكثر فأكثر على تقنيّات التعاقد ضدّ المعلومات المضلّلة وإعادة تأهيل النقاش العام، وبالتالي الاهتمام المتزايد بالندوات والمنتديات عبر الإنترنت. وكذلك الأمر، هناك العديد من المساهمات التي تُظهر أنّ الجامعة لا يمكنها أن تكون مجرّد متفرّج للأحداث، ولكنّها مساهم أساسيّ في التحوّل في ما يتعلّق بالجغرافيا السياسيّة المحليّة والدوليّة[٨] . نعلم اليوم أنّ مشكلة الاستثمار الماليّ للجامعات لا تتعلّق فقط بالمستوى المحليّ اللبنانيّ، بل بالبقاء في أعقاب التدريب على التميّز، فيجب على الجامعات العالميّة أن تواجه المستقبل من خلال ابتكار مصادر تمويل جديدة مثل التدريب الرقميّ. لقد أغرقتنا جائحة الكورونا ليس فقط في صميم التعليم عن بعد والعمل عن بعد، ولكن أيضًا في العلاقة القائمة بين القيود وفوائد العالم الافتراضيّ من ناحية والتواجد الحضوريّ من ناحية أخرى. يضعنا هذا التقرير أمام التعليم والتعلّم المدمجَين اللذين يوجّهان الجامعة نحو نقلة رقميّة ونحو آفاق لم تكن معروفة بالأمس، وإلى إعادة تشكيل طبيعة الحرم الجامعيّ الذي تمّت إزاحته عن طبيعته الجغرافيّة والماديّة. من هنا، فإنّ اتّحاد الجامعات في لبنان ملتزم ومعنيّ بمشاريع قوانين مثل قانون التعليم عن بعد وضمان الجودة على المستوى الوطنيّ. لن تسمح المؤسّسة التي تهتمّ بمستوى الشهادات التي يجب أن تقدّمها الجامعات لتجّار المعابد بنشر الشهادات التي لا تتمتّع بعمق أكاديميّ مؤكّد. حتّى في خضمّ الأزمة، هدفنا أن يكون كلّ دبلوم قيمة مضافة لحاملها ولصورة بلدنا. جامعة الغد هي جامعة تتخطّى حدود حرمها الجامعيّ وسيتعيّن عليها الاعتماد على بيئتها الاجتماعيّة، وعلى خرّيجيها وأصدقائها حول العالم، وبالتالي تصبح جامعة تضمّ أسرة كبيرة.

بصفتنا جامعة «يسوعية» ، نشارك مع جميع الجامعات المهامّ الثلاث التي أوكلها المجتمع للجامعات : إنشاء معارف جديدة من خلال البحث، ونقْل هذه المعارف من خلال التدريس، وتوفير هذه المعارف من طريق توفير الخدمة للمجتمع. في صميم ممارسة كلٍّ من هذه المهامّ الثلاث، تتبَلوَر أَولَويّة خدمة البشر، وبشكل خاصّ الأكثر ضعفًا بينهم،

---

^ Cf. European University Association, Universities without walls, A vision for 2030, February 2021.

والاهتمام الشخصيّ بالتغيّرات الثقافيّة، والبُعد الشموليّ، والحوار بين العلم والإيمان. قال الأب أرتورو سوزا Arturo Soza، الرئيس العام لليسوعيين، في مقابلة أُجرِيَت معه مؤخّرًا إنّ «منطق الجامعة اليسوعيّة، في سياق جائحة كوفيد ١٩، لا يكمن في التدريب على الجدارة فحسب، بل على الخدمة وعلى ما يجب القيام به من أجل الآخرين. إذا كانت الجدارة تترتّب علينا، فإنّ الخدمة ترسلنا في مهمّة من أجل تكريس مهاراتنا لشفاء عالمنا وإنقاذه»[٩]. في هذا البحث عن التميّز، لم يعد بإمكاننا اعتبار الجانب الأكاديميّ معزولًا عن التِزام الخرّيج المهنيّ الذي يجمع حرصنا على توفير التنشئة على الصعيد المحليّ اللبنانيّ المتورّط في أزماته المتعدّدة، والمَطالِبِ الدوليّة، مع مراعاة أنّنا نكوّن بالفعل جزءًا لا يتجزّأ من التعليم العالي الدوليّ.

٣. الجامعة التي تتمتّع بالمواطَنة والتفاؤل

ستكون جامعتنا الأساسَ الذي تُبنى عليه المواطَنة اللبنانيّة، أو لن تكون حقًّا جامعة تحترم طبيعتها، وهي التي تبغي، في قلب التعدديّة اللبنانيّة، تخطّي الانكفاء الذاتيّ الطائفيّ، وتحريم استخدام الدين كأداة هلاك أو تلاعُبٍ بالمشاعر والمقدّسات الخاصّة بكلّ فرد؛ تُعتَبَر التنشئة على المواطنة بالنسبة إلينا جميعًا، كمعلّمين وطلاب وإداريّين وحتّى الخرّيجين القدامى، جزءًا لا يتجزّأ من **مهمّة جامعة القدّيس يوسف**، كما حدّدها ميثاقها في المادّتين الرابعة والخامسة.

تفترض التنشئة على المواطنة اللبنانيّة تدريبًا على القيادة والخِطاب الحُرّ والنقديّ والمسؤول، ومهارات احترام الغيريّة، والموقف الديمقراطيّ، والاختيار الحرّ، والعدالة والقيم الإنسانيّة والروحيّة، وهي تشكّل جزءًا لا يتجزّأ من **مشروع التميّز** الذي تسعى إليه الجامعة.

تسعى هذه التنشئة إلى أن تكون ردًّا على **العنف الذي حدث عدّة مرّات** في حرم أو آخرَ من أحرام جامعة القدّيس يوسف، أو ببساطةٍ على شبكات التواصل الاجتماعيّ، ممّا يُظهر ضرورة العمل في هذا الاتّجاه.

دعُونا نستمع إلى ما يقوله كلاوس شواب Klaus Schwab، مؤسّس منتدى دافوس Davos: «إنّ جائحة وباء كورونا يفرض علينا ثورة في التعليم لا لننقل التعليم بجميع

---

[٩] حديث مع الأب سوزا، الرئيس العامّ للرهبنة اليسوعيّة مع مجلّة AUSJAL، في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٢٠.

أشكاله إلى المنصّات الرقميّة أو لتعديل بعض المحتويات، بل ثورة تؤثّر على المهمّة نفسها أو بعثات التدريس ؛ يتعلّق السؤال الجوهريّ بانتقال السلوك الإنسانيّ من الإستهلاك إلى حسّ التمييز، ومن الطائفة إلى المواطنة [١٠].»

لهذا السبب، مع العلم أنّ تفاؤلنا لا ينبغي أن يكون ساذجًا في هذا المجال، نظرًا للتحدّي الحقيقيّ في مواجهة الروح الطائفيّة والعقائديّة التي تديرها يوميًّا وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعيّة، والتي تفاقمت بسبب الوضع الاقتصاديّ والماليّ المأسَويّ، نُطلق في أقرب وقت ممكن أكاديميّةً للتدريب على المواطَنة، سيَتوافر لها إطارٌ مَرجِعيّ صارم وبرنامجُها المفاهيميّ والعمليّ المتماسك، ولكنّها ستستمدّ مقرّراتها وأنشطتها بشكل أساسيّ، ممّا هو موجود بوَفرة في مجال التنشئة على المواطَنة داخلَ جامعة القدّيس يوسف، من طريق تسليحها بالأدوات المناسبة من أجل إدارة غير عنيفة للنزاعات. في الوقت نفسه، نحن نواصل عرض ثقافة **حقوق الإنسان وواجباته** والمواطَنة لكلّ طالب من طلاّبنا. أنا على يقينٍ أنّ هذه المبادرة ستكون قيمة مُضافة **لصورة** الجامعة على المستويَين اللبنانيّ والدوليّ.

الخاتمة

أختتم هذه الرسالة بكلمات اقتبستُها من أحد النصوص التي كتبها معلّمون أو إداريّون بمبادرة منصّة Rise to bloom («ننمو لنزهر»)، كلمات ألْهمتْ كلمة رئيس الجامعة لهذا العام: «هل نحن ملعونون لكَوننا وُلِدنا في لبنان؟» نظرًا للكآبة التي تكتنِفنا، والكابوس الذي نعيشه، قد تكون الإجابة: بالطبع نعم، وحتّى نحنُ هالِكون. لقد أحبطَتنا كلُّ هذه المصائب التي تنهالُ فوق رؤوسنا! ثمّ تُبادِر إلى ذهني الكلمةُ التي تتواتر مرارًا وتكرارًا على مدار أكثرَ من عامٍ في وسائل الإعلام والخُطب: résilience الصمود؛ وأنا أبحث في القاموس الفرنسيّ Larousse عن التعريف الدقيق لهذه الكلمة التي يصفنا بها الجميع. الصمود يعني قدرة الفرد على تحمُّل تجارب الحياة نفسيًّا. صحيح أنّ إحدى سِماتنا تتلخّص في شعبٍ ينحني لكنّه لا ينكسر، ومتهوّر، وعنيد، ولْنجرؤْ على قول ذلك، يعيش بطبيعته في فرحٍ وسعادة. يدفعني فُضولي إلى الرغبة في فهْم ما يوعز إليه رئيس

١٠- https://web.microsoftstream.com/video/718546b1-3d04-42ee-9cc4-9785dbcc9682

هذه المداخلة تندرج ضمن أنشطة «ليرنت» Learnit ٢٠٢١.

الجامعة دكّاش من خلال عبارة تمكين المجتمع. وما أكتشِفه يهزّني بشكل كبير: تمكين المجتمع: تعبير يشير إلى دولة يكون فيها المجتمع قادرًا على التصرّف وفقًا لاختياراته الخاصّة، وحيث يعزّز تطوير قدرة تصرّف أفراده. المشاركة، والمهارات، والتواصل ورأس المال المجتمعيّ، هي المستوياتُ الأربعةُ التي يتمّ فيها التمكين الفرديّ. التمكين الفرديّ يساهم في تحقيق تمكين المجتمع».[١١]

زمن توفير الموارد

في هذا السياق، أستعيرُ سؤالَ أنطوان دو سانت إكزوبيري Antoine de Saint Exupéry في رسالته إلى الجنرال إكس X: «ماذا نقول للناس؟»[١٢] وتأتي الإجابة :» إعطاء الإنسان معنى روحيّ، إعادة اكتشاف حياة تحييها الروح وتكون أسمى من الحياة الفكريّة الصرف». من أجل الحفاظ على هذه الطاقة الجماعيّة والفرديّة، والروحيّة والنفسيّة، هذا الصمود الذي يسمح لنا أن نكون قادرين على التصرّف بسهولة وفقًا لخِياراتنا في مواجهة التحديّات المتنوّعة، ولا سيّما تأثير الحجْر والعواقب الضارّة التي ألحقها كلٌّ من الوباء وجريمة ٤ آب (أغسطس) الكاملة، يُعتَبَر توفير الموارد الفرديّة والجماعيّة في أوقات الأزمات فعْلَ إيمان بأنفُسنا، بأنّنا نستطيع أن نلتقط أنفاسنا، ونقوّي نفسيّاتنا المحاصَرة بالخوف والموت، ونجد ما يعوِّق طاقاتنا الحيويّة، ونطْلق سراحَها لنَتصرّف بشكلٍ إيجابيّ وبالتالي ننال الفوز؛ إنّها عودة إلى مصادرنا نستخلص منها ما يحفزُنا، وهي أيضًا تغذيَةٌ لجُذورنا التاريخيّة، ومحاربةُ القلق والاكتئاب اللذَين قد يتربّصان بنا ويستنفدان طاقاتنا النفسيّة والفكريّة؛ لذلك، تقوم الجامعة بتنفيذ **عمليّة Rise to Bloom**، **«ننمو لنزهر»، والهدف منها هو استعادة طاقتنا التي ضربَتها الأحداث** بأشكال مختلفة لنوَجِّهها نحو فِرَقنا التعليميّة والإداريّة، وكذلك الأمر، نحو طلابنا. أكرّر شكري إلى أولئك الذين يموّلونها وأولئك الذين يقومون بتنشيطها لأنّها تساعد وستساعد الكثيرين منّا على التعبير عمّا بقي مكتومًا وبالتالي تحرير كلمتها وتحرير أنفسنا بقوّة الكلمة.

---

[١١] Micheline Bittar, directrice de la bibliothèque orientale, concours Rise to Bloom, USJ, 2021.

[١٢] Antoine de Saint Exupéry, La lettre au Général X avec le titre « que faut-il dire aux hommes?

تعلّمنا هذه التجربة الصمود، ولا سيّما الكرامة، أساس وضعنا البشريّ كما يقول ألبير كامو Albert Camus، من أجل مواجهة تجارب الحياة ورأسنا مرفوع من دون الاستسلام أبدًا وبالتالي الاستمرار في المسار الذي رسمناه.[١٣]

تملِكُ عمليّة توفير الموارد هذه للأيّام القادمة مكمِّلاتٍ مثل هذه السنة المكرَّسة للقدّيس يوسف، والتي تُلهِمنا بالتأكيد المواقف الصحيحة التي يجب اتّخاذها لنَكون أقوياءَ في مواجهة العاصفة فلا ننحني أمامها. وكذلك الأمر، من شهر أيّار (مايو) ٢٠٢١ حتّى شهر تمّوز (يوليو) ٢٠٢٢، تدعونا الرهبنة اليسوعيّة إلى أن نعيش وقتًا مبارَكًا، **ذكرى مرور ٥٠٠ عام على اهتداء مؤسِّسها**، القدّيس إغناطيوس دو لويولا. إذا علّمَنا القدّيسُ يوسف المسؤوليّةَ الفعّالة والمستمرّة، فإنّ القدّيس إغناطيوس يعلّمنا التمييز، والشجاعة والنُّبل في بحثنا عن إرادة الله.

تأتينا الموارد من كلّ جديد يقترحه قداسة البابا فرنسيس الذي يحفزُنا بكلماته وإيمانه بالحوار الإسلاميّ المسيحيّ. بالأمس، تمّ إعلان الأزهر في القاهرة حول المواطَنة والمساواة (شباط / فبراير ٢٠١٧)، ثمّ حول الأُخوّة الإنسانيّة (شباط / فبراير ٢٠١٩ في أبو ظبي)، فضلاً عن اللقاءات المستمرّة مع المَراجع الدينيّة الإيرانيّة. واليومَ قام بزيارة العراق والتقى المَرجِع الدينيّ الأعلى السيّد السيستاني، وأعلن عن زيارة سيقوم بها لِلُبنان. رسالة فرنسيس بسيطة: الحوار ليس تبادُلًا بهدف بناء توليفة عقائديّة، نوعًا من التسوية العقائديّة غير الملائمة. يكمن هدف الحوار في حماية الألوان المتعدّدة في النسيج الذي حكناه معًا. هذا الحوار ضروريّ من أجل قبول بعضِنا بعضًا كمُختلِفين، كمتعارضين في نقاط العقيدة. لا تكفي معرفةُ ما هو مشترَك وما هو مختلِف بين الأطراف المعنيّة للسير في اتّجاه التكامل أو في اتّجاه القطيعة. لا بدّ من المضيّ أبْعدَ من ذلك، ومساءلةِ الاختلاف من أجل أن نستخلص منه ما يمكن أن يُثري الطرفَين، مثل مفهومَيِ المواطَنة والأُخوّة. صحيح أنّ العقيدة ليست هي نفسها: لا لدى الكاثوليك ولا لدى المسلمين. لكن قبول الاختلاف هذا، المستنير بمعرفة الآخر، هو حجَر الزاوية في «العيش معًا» والمواطَنةِ والوَلاءِ للوطن.

هاجس تعزيز هذا الحوار هو الذي قاد قداستَه إلى «أُوْر» في بلاد ما بين النهرَين، مَوطِنِ إبراهيم الذي نحن جميعًا أبناءٌ له في إيماننا وثقَتنا بالله الواحد، مؤدّيًا بالتالي دَورَ الوسيط

---

[١٣] موضوع كرامة الحياة والموت موضوع متواتر في فكر ألبير كامو *Albert Camus*، كما في مقتطفات كتابه Extraits du discours de Suède، ١٩٥٧.

للأُخوّة البشريّة وممدِّدًا رسالةَ الخلاص الممنوحة لكلّ إنسان. يمكن لمسيحيّ الشرق، بل عليهم أن يفخروا برؤية البابا فرنسيس يريهم طريق شهادتهم ورسالة لبنان. ألم يقُل هذه الكلمات التي تحاكينا في العمق: «لبنان رسالة، لبنان يعاني آلامًا مبرِّحة، إلا أنّ لبنان يمثّل أكثر من توازُن قُوى، لبنان يعاني ضعفًا يسبّبه تنوّعٌ سياسيّ لم يتصالح مع نفسه، لكنّه يمتلك قوّةَ الشعب الذي تَصالَح مع نفسه، قوّةً توازي قوّة أرز لبنان»[١٤].

أحد المؤلّفين الفرنسيّين كان ليقول : «تحلّ نهاية العالم حين تنعدم الثقة» [١٥]. صحيح أنّ الثقة تحتاج إلى كلمة سياسيّة. إلا أنّ مصدر ثقتنا لليوم وغدًا ينبع دومًا من قوّة شعبنا اللبنانيّ المتصالح مع نفسه.

أتمنّى لكم عيدًا سعيدًا، عيد شفيع جامعتنا القدّيس يوسف

لمجد الله.

تحيا جامعة القدّيس يوسف

يحيا الشعب اللبنانيّ !

[١٤] البابا فرنسيس، خطاب موجّه إلى الصحفيّين، في ٨ آذار (مارس) ٢٠٢١.

[١٥] Micheline Michalska dans *le Jeu des saisons*